

جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في ظل الاختلاف المذهبي والاختلاف الديني
(نماذج للاختلاف والتعايش)

Exploring the Dialectics of the Self and the Other in the Context of Sectarian and Religious Plurality: Case Studies of Difference and Coexistence

محمد الحبيب منادي^{*1}

المركز الجامعي آفلو (الجزائر)، m.menadi@cu-afrou.edu.dz

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/03/08

تاريخ الاستلام: 2025/03/22

ملخص:

مع صعوبة تحديد مفهوم " الأنا " - بتعدد دوائر الهوية التي قد تتقاطع مع " الآخر " - يصعب تحديد مفهوم هذا " الآخر " أيضاً، إذ يشترك الأنا والآخر في الكثير من المعاني الإنسانية والثقافية، التي تسمح بالتعاون والتعايش بينهما كمعاني الحرية، والعدالة، والإنسانية .. وغيرها . وكذا الاتفاق في توظيف منتجات العلوم المحايدة على تنوعها ... ويختلف الأنا عن الآخر في الجوانب الدينية والثقافية والسلوكية والنظرة العامة للإنسان والكون والحياة ... وأمام هذا الاتفاق والاختلاف، والتقاطع والتوازي .. تبرز إشكالية الأنا والآخر، وتطرح في ظل هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة، منها : ما هي الحدود المفاهيمية للأنا والآخر ؟ وما هي إمكانات التعايش والتعاون في ظل الاختلاف المذهبي والاختلاف الديني ؟ ويسعى هذا البحث إلى توسيع آفاق الحوار مع الآخر، وبند العصّب، والدعوة إلى الانفتاح والتعاون من خلال عرض نماذج للتعايش. وقد تناولنا في القسم الأول منه الحدود المفاهيمية لمفهوم "الأنا" و"الآخر" وأسباب الاختلاف والتعصّب، وفي القسم الثاني نماذج التعايش بين المسلمين رغم الانقسامات المذهبية، وعرضنا في القسم الثالث نماذج التعايش مع الآخر غير المسلم المختلف في العقيدة والمنهج والسلوك.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الدين، الثقافة، المذاهب، الاختلاف، والتعايش .

Abstract:

The notions of "Self" and "Other" are difficult to define, as both are shaped by overlapping spheres of identity. While they diverge in religious, cultural, and behavioral perspectives, they also share universal values such as freedom, justice, and humanity, which enable dialogue, cooperation, and coexistence. This study addresses the conceptual boundaries of Self and Other, questioning the possibilities of coexistence in contexts of sectarian and religious diversity. It argues for dialogue, openness, and the rejection of fanaticism, and it illustrates these principles through three sections: conceptual and methodological foundations of the debate, models of coexistence among Muslims despite sectarian differences, and models of coexistence with the non-Muslim Other across religious and cultural divides.

Keywords: Self, Other, Religion, Culture, Doctrines, Difference, Coexistence.

*المؤلف المرسل

1. مقَدِّمة :

يُعدّ تحديد مفهوم "الأنا" أمراً إشكاليّاً نظراً لتعدد دوائر الهوية التي تتقاطع مع "الأخر"، كما أنّ مفهوم "الأخر" بدوره يكتنفه الغموض، إذ يجتمع الطرفان في كثير من القيم الإنسانية والثّقافيّة المشتركة كالحرية والعدالة والإنسانيّة، فضلاً عن اتّفاقيهما في توظيف منتجات العلوم على تنوعها، في الوقت الذي يفتقران فيه من حيث المعتقدات الدّينيّة، والرّؤى الثّقافيّة والسلوكيّة، والنّظرة إلى الإنسان والكون والحياة. ومن هذا التّلاقي والافتراق تنشأ إشكاليّة العلاقة بين الأنا والأخر، بما تطرحه من تساؤلات جوهرية حول الحدود المفاهيميّة لكلّ منهما، وإمكانات التّعايش والتّعاون في ظلّ الاختلاف المذهبي والدّيني والفلسفي... وفي هذا السّياق يسعى بحثنا هذا إلى توسيع آفاق الحوار، ونبذ التّعصّب، والدّعوة إلى الانفتاح والتّعاون، من خلال عرض نماذج للتّعايش، موزّعة على ثلاثة أقسام: يُعالج الأوّل منها الأبعاد المفاهيميّة للأنا والأخر وأسباب الخلاف والتّعصّب، ويقدم القسم الثّاني نماذج للتّعايش بين المسلمين رغم الانقسامات المذهبيّة، ويعرض القسم الثّالث صور التّعايش مع الآخر غير المسلم المخالف في العقيدة والمنهج والسلوك.

2. الضّبط المفاهيمي لحدود الأنا، والحوار مع الآخر :

مع ما قد يبدو من اتّحاد "الأنا المسلم" إلّا أنّ ما يوجد من تنوّع داخل النّسيج الإسلامي خلق جدليّة في ضبط حدوده مع الآخر، لا سيما عندما نتحدّث عن "المسلم العاصي" أو "غير الملتزم"، ممّا يراه البعض ⁽¹⁾ بأنّه لا يصحّ أن يكون مصدراً لتوجيه عموم الأمّة، وهو ما قد يجعل حدود هذه "الأنا" تقارب حدود "الأخر" بل قد تتقاطع معه، ممّا يعكس هذه الجدليّة، ويُعمّق إشكاليّة الفصل بين الأنا والآخر فصلاً حدّيّاً لا خلاف حوله، إذ نجد ضمن ثقافتنا الإسلاميّة «صلاح أهل السُّلوك، وخلاعة أهل البطالة». نرى فيه : زهديّات أبي العتاهية وخمريّات أبي نواس . نرى فيه : مرثيّات الخنساء ومجون ابن أبي ربيعة . نرى فيه : "نهج البلاغة"، و"ألف ليلة وليلة". نرى فيه: صوفيّة الجنيد الملتزمة، وشطط الحلاج وابن سبعين ! نرى فيه : استقامة أهل الاتّباع، وانحراف أهل الابتداع . ونرى فيه : مقولات الفرق المختلفة من أهل المِلّة، والفرق المنشقة عن المِلّة . هذه الجوانب من الثّراث لا نستطيع أن نُنكرها، ولا أن نحذفها، وهي مجال لدراسة المتخصّصين، وموازناتهم العلميّة ⁽²⁾ . وهذا التنوّع والاختلاف فيه ما يُحمد وما يُذمّ ولعلّ هذا هو ما حمل الإمام "الشّافعي" على أن يكتب فصلاً مُستقلاً في الاختلاف في كتاب "الرّسالة" يُبيّن فيه تقسيم "الاختلاف" عند أهل العلم إلى وجهين : محرّم وغير محرّم ⁽³⁾ . وهو ما يؤكّد صعوبة تحديد المقصود بـ "الأنا المسلم"، وصعوبة تحديد مفهوم "الأخر"، وحدود الحوار بينهما .

ورغم هذا التنوّع إلّا أنّنا نجد دعوات كثيرة في القرآن الكريم يحثّ فيها على الحوار مع "الأخر"، ومنها قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 64] . ونلاحظ هنا أنّه لم يقلّ : تعالوا إلى كلمتنا مع اليقين المبدئيّ ببطلان كلمة "الأخر". وفي سياق آخر لم يطلب من أهل الكتاب إسقاط العمل بالثّورة

والإنجيل فيقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَعْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 68] . وهذه دعوة صريحة تُحاول التقريب بين الأنا والآخر رغم الاختلاف، يطلب الله فيها أهل الكتاب بتحكيم كتابيهما (التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) .

بل نجد وصف القرآن لأهل الكتاب بأنهم كتب فيها هداية ونور ! فيذكر أن في التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ هدى للنَّاس فيقول الله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ . مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران : 02 - 04] . ويؤكد أن في التَّوْرَةَ هدى ونور، فيقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة : 44] . ويقول إن في الإنجيل هدى ونور وموعظة للمتقين : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ . وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ . فهذه الآية تأمرهم بتحكيم ما أنزله الله في كتبهم . ويأتي القرآن بعدهما مصدقاً بالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : 03 - 04] . وهو ما يؤكد الله به إمكانية الحوار رغم الاختلاف، وهذا ما يمكن أن يُستثمر غاية الاستثمار في التقريب بين " الأنا المسلم " و " الآخر " ، بدل التناحر والتعادي .

وبين القرآن أن " الآخر " ليس واحداً، بل هو متنوع الأطياف ممَّا يجعل بعضه قريباً من " الأنا المسلم " فيقول : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : 113 - 114] . وهذه الآية تُخالف الفهم السائد عند بعض المسلمين من أنَّهم وحدهم الفرقة الناجية ... والله تعالى يصف - في هذه الآية - بعض أهل الكتاب بأنهم (من الصَّالِحِينَ) ، وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . وهذا أيضاً يؤكد إمكانية الحوار، والتعاون فيما فيه الصَّلاح للبشرية جمعاء .

1.2. الضبط الإجرائي لحدود الأنا والآخر:

إذا افترضنا أن ممَّا يصنع الأنا هو اللغة والتدين والمواطنة والثقافة مثلاً ... فإنَّه سنثار جدلية الاختلاف فيمن يتَّصف ببعضها دون بعض، ونقع بذلك في جدلية التصنيف، ونقع في إشكالية معرفة حدود الأنا والآخر، لا سيما إذا أضفنا التَّعصُّبات القبلية التي لا ينفك عنها العرب، وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن العصبية والفخر ممَّا لا يكاد يتركه النَّاس، وأنَّه من أمر الجاهلية، بقوله : « أربع في أمي من أمر الجاهلية، لا يتركوهنَّ : الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب ... »⁽⁴⁾ . ف " الجزائري القبائلي المسلم

السنيّ الذي يعيش الغربية في أمريكا " مثلاً، و " الجزائري العربي الشيعي الذي يعيش في إيران " مثلاً، كيف ينظر كلّ منهما للآخر ضمن هذه الحدود الجدليّة؟ فكلاهما يقع ضمن حدود " الأنا " الواحد لكونهما جزائريّان مسلمان، وهما في الوقت ذاته يختلف كلّ منهما اختلاف " الأنا " عن " الآخر " لاختلافهما في اللغة والمذهب والمواطنة والثّقافة ...

ومن واقع هذا المثال ولتعدد دوائر الاختلاف، وتعدّد نقاط التّقاطع بين الأنا والآخر فإنّنا نكتفي في هذا البحث في تحديدنا لمفهوم الأنا والآخر ضمن نطاق الاختلاف أو الاتّفاق المذهبي، وضمن الاختلاف أو الاتّفاق الديني، فكلّ مسلم أينما كان يكون ضمن نطاق " الأنا " في مقابل من يخالفه الدّين من مسيحي أو يهودي أو غير ذلك ... فيشكّل الإسلام بذلك حدود " الأنا " ويُشكّل من يخالفه المعتقد حدود " الآخر ". وفي دائرة أضيق يُشكّل الاختلاف المذهبي حدوداً أخرى للأنا والآخر فيكون الموافق للمذهب ضمن " الأنا المذهبي " فالحنفيّة، أو المالكيّة أو الحنابلة أو الشافعيّة، أينما كانوا يجمعهم " الأنا المذهبي " الواحد، ومن يخالف المذهب يكون ضمن " الآخر المذهبي " ... وهذا الضّبط المنهجي لحدود الأنا والآخر، وحصرهما ضمن هذين المعيارين (الديني، والمذهبي) . يمكننا فيما يأتي أن نعرض للقسم الثّاني من هذا البحث لنعرض نماذج من الاختلاف والتّعايش بين المسلمين في ظلّ الاختلاف والتّعصّب والتّشردّم المذهبي ... فتتحدّ بذلك صورة " الأنا الديني " . التي تُعالج من خلالها اختلافاتنا مع الآخر المسيحي، والآخر اليهودي، والآخر غير المسلم عموماً ضمن القسم الأخير ...

وقبل هذا وذالك أردنا أن نقرّر حقيقة ثابتة في الوجود هي حقيقة الاختلاف التي كانت مجسّدة لغاية خَلْقِهِم، يُوَكِّدُهَا قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود : 118 - 119] . ويزيد في تأكيد هذا موقف في غاية الطّرافة والإغراب والتّفكّر يذكره " شريف عرفة " حين تحدّث عن " التّوائم الملتصقة " التي عجز الطّبُّ عن فصلها فكبروا وبلغوا ونضجوا وهم لا يزالون ملتصقين .. ليتساءل كيف يُفكّرون ؟ كيف يعيشون ؟ وهما يشكّلان في العرف الظّاهر " أنا " واحداً، فيؤكّد أنّه في دراسات عديدة لهذه التّوائم « تبيّن أنّ لكلّ شخص منهم شخصيّة مستقلّة عن الآخر ... له موسيقى مفضّلة وبرامج مفضّلة ونزهات مفضّلة .. تختلف كليّةً عن الآخر ! هذا رغم أنّهم - حرفياً بكلّ ما تحمله الكلمة من معانٍ - يعيشون معاً في كلّ لحظة ... يأكلون ويشربون معاً .. ينامون ويستيقظون معاً .. يدخلون الحَمَّام ، يستحمّون يخرجون للتسوّق ويتنزّهون ... يقضون كلّ شيء معاً، ولم يفترقوا طوال حياتهم.. ورغم كلّ هذا : يختلفون ! » (5) .

2.2. أسباب الاختلاف والتّعصّب للرأي والمذهب :

تتعدّد أسباب الاختلاف بين المختلفين عموماً في اختلاف الأمزجة والميول، واختلاف إدراك أدلّة الحقائق وبراهينها، والاتّباع للسّابقين، وغيرها .. ومن أبرز أسباب الاختلاف الذي نحن بصددده هو التّعصّب للرأي والمذهب ... فبعد توضيحنا لحدود " الأنا " و " الآخر " ضمن معيار الاتّفاق أو الاختلاف في الدّين، فإنّه قد يُشكّل الخلاف ضمن " الأنا المسلم " ما يسمح بالانتقال من " الأنا " إلى " الآخر " لما نراه من تعصّب مذهبي

قد يصل إلى حدود التكفير، فيتحوّل المسلم إلى ساحة " الآخر " في نظر من يُخالفه، ولذا كان لزاماً معرفة أسباب هذا الاختلاف لدرئها ومعرفة ما يُمكن أن يُشكّله من عوائق ثبات الدّات في "الأنا" الواحد قبل مواجهة " الآخر " والتّفاعُل معه، وأساس هذا الاختلاف هو التّعصّب والانغلاق على الرّأي الواحد وعدم القبول بالرّأي المخالف، ولتوضيح هذا (الانغلاق) العقلي أو الذّهني أوضح " سمير نعيم أحمد " حقيقته بقوله : « إنّ التطرّف ووفقاً للتعريفات العلميّة بدوائر المعارف العالميّة والعلوم مرادف للكلمة الإنجليزيّة (Dogmatism) أي الجمود العقائدي والانغلاق العقلي، وهذا هو في الواقع جوهر الفكر الذي تتمحور حوله كلّ الجماعات المسماة المتطرّفة . والتطرّف - بهذا المعنى - هو أسلوب مغلق للتّفكير يتّسم بعدم القدرة على تقبّل أي معتقدات تختلف عن معتقدات الشّخص أو الجماعة أو على التّسامح معها »⁽⁶⁾ . وهو ما يشكل المعيار عند الكثيرين في ضبط حدود الأنا والآخر بناءً على ما يؤمن به ويعتقده .

وقد أشار " سلمان بن فهد العودة " - (فكّ الله أسره)- إلى نبد فكرة التّعصّب المذهبي، وأنّها أبعد ما يكون عن التّدين المشروع، فيقول : « ليس مُحتمّاً على النّاس أن يتّبعوا مذهباً أو إماماً، إلّا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . وليس الحقّ محصوراً في واحدٍ من المذاهب، ولا حتّى في المذاهب الأربعة وحدها، وسعة الشّريعة لن يحتويها مذهبٌ بعينه . والتّاريخ قد حفل بنماذج حرّة تسترعي الاهتمام والنّظر، وتنادي بترك التّمذهب، أو ترك التّعصّب، وفي ضمن الانتماء لكلّ مذهب تجد التّكبر من فقهاء عظام على من يُقدّمون المذهب على الاتّباع والاستدلال »⁽⁷⁾ . وقد بلغ التّعصّب ببعضهم إلى الحدّ الذي قال فيه أحد الحنفيّة زاعماً أنّ «كلّ آية تُخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤوّلّة أو منسوخة، وحديثٌ كذلك فهو مؤوّل أو منسوخ »⁽⁸⁾ . وقال آخر من الشّافعيّة : « نحن ندعي أن يجب على كافّة العاقلين وعامّة المسلمين شرقاً وغرباً وبُعداً وقرباً، انتحال مذهب الشّافعي ... »⁽⁹⁾ . وهذا التّعصّب الشّديد هو ما يكون سبباً قوياً لتكفير المخالف في التّفكير، ولذا كان حرص " ابن رشد " على بيان أنّ هذا الاختلاف ليس من موجبات التّكفير بقوله : « لا يُقطع بكُفر من خرق الإجماع في التّأويل »⁽¹⁰⁾ . ليفتح بذلك حريّة التّفكير ويحدّ من الإسراع إلى التّكفير لمجرّد الاختلاف في الرّأي أو مخالفة الإجماع باعتماد التّأويل وفق أسسه المعروفة .

3. نماذج الاختلاف والتّعايش داخل " الأنا المسلم " في ظلّ الاختلاف المذهبي.

مع وُضوح مفهوم " الأنا المسلم " في التزام عقيدة التّوحيد ومقتضيات الشّريعة الإسلاميّة دون تعصّب إلّا أنّ هذا " الأنا " يبقى عصياً على التّحديد التّهاهي لأنّه عرف تنوعاً هائلاً في " الأنا الثّقافي " فشهدت "الثّقافة الإسلاميّة" تنوعاً هائلاً يكاد يكون من سماتها الأساسيّة، لتخرُج من حدود ما يتصوّره البعض من اعتبارها مجرد ثقافة دينيّة لاهوتيّة، إلى ثقافة تجمع الدّين بفروعه المتعدّدة، واللغة والأدب والفلسفة، والعلوم الطّبيعيّة والرياضيّة، والعلوم الإنسانيّة، والفنون المختلفة ... وغير ذلك . ويُجسّد هذا التّنوع ما يذكره " يوسف القرضاوي " - رحمه الله - ضمن كتابه " ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق " ننقله كاملاً - رغم طوله - لما يجسّده من تنوع هائل في " الأنا الثّقافي " الإسلامي، وما يخلقه ذلك من إدراك لحدود " الأنا "

الإسلامي ضمن هذه الاختلافات الثقافية التي نجد فيها : « فقه أبي حنيفة ومدرسة الرأي، وفقه مالك ومدرسة الأثر، فيها أصول الشافعي، وكلام الأشعري، وتفسير الطبري، ورواية البخاري، وأدب الجاحظ، ومعجم الخليل، ونحو سيبويه، وبلاغة عبد القاهر، وطبُّ ابن سينا، وشعر المتنبي، ومقامات الحريري، وبصريّات ابن الهيثم، ورياضيّات البيروني، وتصوّف الغزالي، وفلسفة ابن رشد، وتحليل ابن خلدون، وخطُّ ابن مُقْلَة، وألحان الموصلّي . فيها ابن حنبل من العراق، وابن تيمية من الشّام، وابن طُفَيْل من الأندلس، وابن أبي زيد من تونس، وابن العربي من المغرب، وابن حجر من مصر، وابن الوزير من اليمن، والشّيرازي من إيران، والرّمخسري من خوارزم، والدّهلوي من الهند، وجلال الدّين الرّومي من تركيا . فيها سلفيّة ابن تيميّة، وصوفيّة ابن عربي. فيها ظاهريّة ابن حزم، ومقاصديّة الشّاطبي . فيها عقلانيّة الفلاسفة، والتزام الفقهاء . فيها اجتهاد المجديدين، وترثت المقلّدين (...) إنّه التنوّع الشّامل أو الشّمول المتنوّع »⁽¹¹⁾ . وهذا التنوّع يصنع إشكاليّة من يقوم في مواجهة " الآخر " والحوار معه ؟ ومن منهم ينقل صورة " الأنا المسلم " الحقيقي ؟ هل هو المعتزلي أم الصّوفي ؟ هل هو المالكي أم الحنبلي ؟ هل هو السّنيّ أم الشّيعي ؟ وهكذا .. ويزيد من هذه الإشكاليّة الاختلاف القائم بين " الأنا المسلم " ذاته، وهو ما نبينّه فيما يأتي .

1.3. نماذج الاختلاف والتعايش المذهبي :

كان الاختلاف المذهبي بين علماء المذاهب مظهر تحضّر وراقيّ، ووعي بحقيقة الاختلاف ووجوبه دون تعصّبٍ لرأي أو تكفيرٍ للآخر، فأنمّة المذاهب مثلاً كان يُخالف بعضهم بعضاً، فقد كان " الشّافعي " مثلاً يُخالف مالكا في الرّأي، ولكنّه في الوقت ذاته يحترم رأيه بل يقول في الإمام " مالك " : " إذا ذكر العلماء فمالك النّجم " . وكان يقول في الإمام " أحمد بن حنبل "، وهو تلميذه الذي اتّخذ مذهباً غير مذهبه :

قالوا : يزورك أحمد وتزوره ** قلت : الفضائل لا تُفارق منزله

إن زارني فبفضله أو زرتّه ** فلفضله ، فالفضل في الحالين له⁽¹²⁾

ليُجسّد بقوله هذا أرقّ معاني الاختلاف بين الرّأي والرّأي الآخر مع حفظ الودّ . كما أنّ جميع أنمّة المذهب لم يتّبع أحدهم الآخر رغم المعاصرة فقد عاش أبو حنيفة النّعمان (80 - 150 هـ) زمن مالك (93 هـ - 179 هـ) ، وعاصر الشّافعي (150 هـ - 204 هـ) أحمد بن حنبل (174 هـ - 241 هـ) . وأسّس كلّ منهم مذهباً غير المذهب الآخر. وذلك ليقينهم جميعاً بمشروعيّة هذا الاختلاف، ووجوب هذا التّمايز، ولعلّ هذا ما حمل الشّافعي على قوله : أجمع العلماء على أنّ الله لا يُعذّب فيما اختلف فيه العلماء . كما كان هذا الاختلاف سمة العصور الإسلاميّة المتقدّمة ف « في بغداد القديمة، كان أبو العتاهية يعيش بقرب أبي نواس دون أن يُطالب أحدهما بسفك دم الآخر . وفي بغداد القديمة عاش شاعر عظيم تخصّص في هجاء الدّولة، وظلّ، كما كان يقول، يحمل كفه أربعين سنة دون أن يجد من يكفّنه فيه . وفي بغداد القديمة، كان فكر المعتزلة يحاور فكر أهل السنّة والجماعة في جدليّة صحيّة سليمة قبل أن تدخّل السّياسة ميدان الفكر فتسمّم كلّ شيء ... »⁽¹³⁾ .

غير أنَّ هذا التعايش المذهبي بين المسلمين لم يعرف الوفاق الدائم بل كان يحمل أحياناً بذور التعصُّب ممَّا يحمل على الانتقال من الأنا المذهبي إلى الآخر المذهبي، وقد يفقد مشروعيتها فيتحوَّل فيه الأنا المسلم إلى " الآخر " الديني، بسبب التأويل أو التكفير الذي يحمله التعصُّب للمذهب وشعاره ما قاله بعض متعصِّبة الحنبلية:

أَنَا حَنْبَلِيٌّ مَا حَيْثُ وَإِنْ أُمْتُ * قَوْصِيَّيَ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَنَّبُلُوا⁽¹⁴⁾.

ليقولَ مثلَ ذلكَ الحنفيُّ، والمالكيُّ، والشافعي ...، وغيره من أنواع التعصُّب المذموم.

ووجب التنبيه إلى أنَّ الاختلاف المذهبي⁽¹⁵⁾ لا يُشكِّل تعدُّداً لـ " الأنا المسلم "، ولا يخرج عن وحدته الأساس المضبوطة بشهادة أن لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، وهو ما يُجسِّده الانتقال السلس لبعض الفقهاء في الانتقال بين المذاهب، ممَّا حمل بعضهم على نقله على سبيل الدُّعابة والتفُّكه في الانتقال الدائم بين المذاهب الفقهية دون تحرُّج فيها هو " الوجيه ابن الدهان أو الواسطي المبارك بن المبارك بن سعيد النحوي الضَّير " (ت 532 هـ / 1137 م) قد بدَّل مذهبه عدَّة مرَّات، من الحنبلي إلى الحنفي إلى الشافعي، حسب مذهب المكان الذي يجد فيه وظيفة، أو جاهاً، أو قريباً. فقول: " كان أولاً حنبلياً، ثمَّ إنَّ الخليفة طَلَّب لولده حنفياً يعلِّمه النَّحو، فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة، ثمَّ شَغَر تدريس النَّحو بالمدرسة النظامية، وشرط الواقف (الوزير نظام الملك) أن لا يُفَوِّضَ ما يتعلَّقُ بها إلَّا شافعي، حتَّى الفراش والبواب، فانتقل الوجيه إلى مذهب الشافعي وتولَّاه ". وقد داعبه مؤيِّد الدين أبو البركات بن يزيد التكريتي (ت 599 هـ / 1203 م) بالأبيات الآتية:

فَمَنْ مُبْلَغُ عَيِّ الْوَجِيهِ رِسَالَةً *** وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي إِلَيْهِ الرِّسَالُ
تَمَذَّهَبْتَ لِلنُّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ *** وَذَلِكَ لَمَّا أَعْوَزَتْكَ الْمَآكِلُ
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيَ الشَّافِعِيِّ دِيَانَةً *** وَلَكِنْ لِأَنَّ تَهْوَى الَّذِي مِنْهُ حَاصِلُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لَا شَكَّ صَائِرٌ *** إِلَى مَالِكٍ فَافْطِنْ لِمَا أَنَا قَائِلُ⁽¹⁶⁾.

وقد كان من كثرة هذه الظاهرة وشيوعها ما حمل " السُّيوطي " على التّأليف فيها بما توفّر من غزارة شواهدا، حيث كتب كتاباً بعنوان : " جزيل المواهب في اختلاف المذاهب " ، ذكر منه عدّة أعلام حولوا مذهبه الفقه حسب مقتضيات الأحوال وتجّددها دون حرج في ذلك، ونذكر منهم ما يُبيّن الجدول الآتي :

جدول يبيّن بعض من انتقل عن مذهبه من الأئمّة الأعلام ⁽¹⁷⁾ :

الإمام	المذهب الذي كان عليه	المذهب الذي انتقل إليه
01 - أبو جعفر الطّحاوي .	المذهب الشّافعي	المذهب الحنفي
02 - أبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادي .	المذهب الحنفي	المذهب الشّافعي
03 - عمر بن عبد العزيز بن عمران بن مقلّاص الخُزاعي .	المذهب المالكي	المذهب الشّافعي
04 - محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم .	المذهب المالكي	المذهب الشّافعي
05 - أبو جعفر محمّد بن أحمد بن ناصر التّرمذي	المذهب الحنفي	المذهب الشّافعي
06 - الخطيب البغدادي .	المذهب الحنبلي	المذهب الشّافعي
07 - ابن برهان أبو الفتح .	المذهب الحنبلي	المذهب الشّافعي
08 - أبو المظفر منصور بن محمّد السّمعاني .	المذهب المالكي	المذهب الشّافعي
09 - ابن فارس " صاحب المُجمل في اللغة " .	المذهب الشّافعي	المذهب المالكي
10 - سيف الدّين الأُمدي .	المذهب الحنبلي	المذهب الشّافعي
11 - نجم الدّين أحمد بن مُحمّد بن خلف المقدسي .	المذهب الحنبلي	المذهب الشّافعي
12 - الوجيه ابن الدّهان النّحوي	المذهب الحنبلي	المذهب الحنفي

ولإزالة الفروق المذهبيّة بين الأنا والآخر المذهبي وفتح الحوار بين المذاهب الإسلاميّة المختلفة - لا سيما الحوار السيّي الشّيعي الذي بات يُهدّد ترابط " الأنا المسلم " ويفتّ من عضده - وجب توسيع أفق الاجتهاد، باختلاف الفقهاء " مثلاً " حول مشروعيّة قراءة فاتحة الكتاب وراء الإمام ، وعدم جواز قراءتها عند آخرين لا يجب أن يفتّت بهذا الخلاف " الأنا المسلم " ، ولهذا يقول " محمّد الغزالي " - رحمه الله - : « ليكنّ هذا أو ذاك، وليختر من يشاء ما شاء، فما يقوم الدّين أو ينهدم بأحد المذهبين، إنّما يضع الدّين والدّنيا معاً بذهاب الخُشوع واستحكام الأثرة، وإطاعة الهوى، والدّهول عن سُنن الله الثّابتة في استخلاف الصّالحين، وتأديب الجهلة، وإهالة التّراب على ما يفعلون » ⁽¹⁸⁾ . وفي الأخير « علينا أن نحترم المذاهب والأئمّة والأتباع ، والعالم الإسلامي اليوم ومنذ أكثر من عشرة قرون موزّع على هؤلاء الأربعة على وجه الخصوص، ويُرشّحهم للإمامة : (أبو حنيفة، ومالك، والشّافعي، وأحمد) . وعلينا ألاّ نجعل الانتماء للمذهب حجاباً عن صوابيّة أقوال أخرى، خاصّة في مسائل حيويّة ومهمّة، أو ظاهرة الرّجحان، وألاّ نسمح للتّعصّب والهوى بأن يحكم علاقاتنا البينيّة » ⁽¹⁹⁾ . وقبل إقامة الحوار مع " الآخر " ، وجب إقامة الحوار داخل " الأنا المسلم " .

4. نماذج التّعايش مع الآخر، وإمكانات الحوار والتّعاون المسيحي الإسلامي .

وصل احترام القرآن لوجهة نظر " الآخر " حدّ تقديم التنازل في مفاوضة الخصم وجرياً له في حوارهِ، على ما يدّعيه فقد قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : 25] . فسعى إيمان المؤمنين إجراماً وسعى عدم إيمان الخصوم بالدعوة أعمالاً، مشاكلة لهم على ما يدّعونهُ استجلاباً لهم إلى تنازل مماثل عن ادّعائهم أنّهم يملكون الحقيقة المطلقة ⁽²⁰⁾ . ولعلّ من نافلة القول إنّ حرّية التدين مكفولة للجميع، فحرّية التدين: والفصل بين العقائد يكون يوم القيامة، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج : 17] .

ووصلت حدود التماهي بين " الأنا المسلم " و " الآخر الكتابي " أقصى غاياتها في علاقة " المصاهرة " التي يتم فيها زواج المسلم بالكتابيّة، حيث نجد أنّ بعض الفقهاء ذهب إلى أنّ للزوج منع زوجته من الذهاب إلى الكنائس والخروج، وشرب الخمر، واستعمال النجاسات ... إلخ . فجاء في كتاب " ابن الموّاز " : « له أن يمنعها من الخنزير والخمر ومن الذهاب إلى الكنيسة » ⁽²¹⁾ . أمّا المالكيّة وبعض الفقهاء فقالوا : « ليس له منعها من أكل الخنزير والخمر وتغذية ولدها منه ولو تضرّر برائحته، وليس له منعها من الذهاب للكنيسة » ⁽²²⁾، ويستحيل أن يكون بين الزوج المسلم والزوجة المسيحيّة مثل هذا التعامل دون أن يكون هناك ما يجمعهما من الحوار والتّفاهم خاصّة فيما يتعلّق بالأولاد وتربيتهم...

كما عرفت الحضارة الإسلاميّة نموذجاً آخر للحوار في أرق أشكاله بين أطراف الأنا والآخر ترى في مجلس الحوار الواحد، وفي ذلك يقول " خلف بن المثني " : « لقد شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة وهم : الخليل بن أحمد صاحب النّحو (وهو سني) والجيمريّ الشّاعر (وهو شيعي) وصالح بن عبد القدوس (وهو زنديق ثنوي) وسفيان بن مجاشع وهو (خارجي صفري)، وبنّار بن برد (وهو شعوبي خليف ماجن) وحمّاد عجرد (وهو زنديق شعوبي) وابن رأس الجالوت الشّاعر (وهو يهودي) وابن نظير المتكلم (وهو نصراني) وعمر بن المؤيد (وهو مجوسي) وابن سنان الحراني الشّاعر (وهو صابئي) كانوا يجتمعون فيتداولون أخبارهم وعلومهم في أوج قوّة الدولة المسلمة » ⁽²³⁾ . وفي المقابل : « كان شبلي شميل وهو طبيب لبناني استوطن مصر — ملحدّاً وترجم أصل الأنواع لدارون . ولكنّه دافع عن الإسلام وبرّاه من أن يكون علّة تخلف المسلمين » ⁽²⁴⁾ . وكلّ هذا يعكس إمكانات الحوار مع الآخر في ظلّ منهجيّتنا الإسلاميّة وتنوّعنا الثقافي . وفيما يأتي بعض عوامل التّقريب بينهما .

1.4. عوامل التّقريب بين الأنا والآخر :

قبل معرفة عوامل التّقريب بين " الأنا " و " الآخر " وجب إدراك أنّ الصّراع بينهما سيبقى أزليّاً وأنّ فكرة قضاء المسلمين على " الآخر " (المسيحي واليهودي) لا توافق أصل ما يعتقده من بقائهما إلى يوم القيامة، وهذا ما تؤكّده الآيات التّالية : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : 14] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة : 64] . وقال : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف : 167] . فالتّصاري واليهود بنصّ هذه الآيات باقون إلى يوم القيامة ، ولذا كان الأولى توجيه الصّراع نحو الحوار والتّقارب والتّعايش والتّفاهم ، بدل الجدال والتّباعد والتّعادي وسوء الفهم ، واعتبار وجود كلّ من " الأنا " و " الآخر " من عوامل التّدافع التي فطر النّاس عليها . طالما لا يمكن لهذا " الأنا المسلم " القضاء على " الآخر غير المسلم " إلى يوم القيامة وأنّ إمكانيات التّعاون متاحة بل مأمورٌ به على ما سبق بيانه ، وما سيأتي .

ولعلّ ممّا يزيد من التّقارب بين " الأنا المسلم " و " الآخر النّصراني " إعادة الفهم للنصوص القرآنيّة بالنّظر إليها نظرة متكاملة تدرك ما قد يفهم منها من تعارض ، ومن ذلك الفهم بأنّ " النّصراني ليس كافراً " ! وهو لا شكّ مفهوم غير مألوف بالنّسبة للأنا المسلم ، ويبيّن " أبو ريّة " في حوارهِ مع بعض المخالفين دلالات هذا الفهم بطرح الإشكالات المتعلّقة ببعض الآيات متسائلاً : إذا كان النّصراني كافراً فكيف يُباح للمسلم أن يتزوَّج بالنّصرانيّة ، والآية الكريمة تقول : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ ﴾ [الممتحنة : 10] ؟ فأجاب بعضهم ، إنّ هذا لا يجوز ! فقال له : لقد جهلت أحكام دينك ! إنّ للمسلم أن يتزوَّج النّصرانيّة ، وعليه أن يُرافقها في أيّام الأحاد ، والأعياد إلى كنيستها ، لتسمع المواعظ من قسيسها ! ولمّا سلّموا جميعاً بذلك نهض بعضهم فقال : إنّ النّصارى مشركون ! فقال له : إنّ الأمر في هذه كالأمر في تلك ! لأنّ الآية تقول : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ [البقرة : 221] ⁽²⁵⁾ . وفي هذا الحوار الإسلامي - الإسلامي ، ما يُقرب بعد ذلك من الحوار مع الآخر (غير المسلم) ، بتصحيح المفاهيم وتوضيح سبل التّقارب .

ويُضاف إلى هذا الذي سبق " الوصيّة بالقبط " ، فقد جاءت الوصيّة الكريمة من الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم صريحةً بالوصيّة بالقبط « فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمَةً » ⁽²⁶⁾ . وشدّد بذلك العلماء في ظلم الذمّي حتّى بلغ ببعضهم القول : « إِنَّ ظِلْمَ الذمّيّ أَشَدُّ مِنْ ظِلْمِ الْمُسْلِمِ » ⁽²⁷⁾ . وفيما ينقله التّاريخ الإسلامي ما يعكس بعض هذا المعنى حيث « ... ما كاد [عمر بن الخطّاب] يسمع أنّ ابن عمرو بن العاص والي مصر أهان أحد الأقباط ، حتّى استدعى القبطيّ المظلوم ، وأعطاه السّوط ليجلد ابن الوالي القرشيّ المُعتدي ... ! » ⁽²⁸⁾ . ولعلّ هذه العلاقة الاستثنائيّة بين " الأنا المسلم " و " الآخر النّصراني / القبطي / المسيحي " ، هو ما حمل " أبا ريّة " على وضع كتابه بعنوان " دين الله واحد على ألسنة جميع الرّسل - محمّد والمسيح أخوان " . ولا شكّ أنّ في تأكيد معاني الأخوة الإنسانيّة ما يفتح الآفاق لما هو أبعد من مجرّد الحوار إلى سبل التّعاون المنشود في خدمة الإنسانيّة عامّة .

ومن مظاهر التّقريب والحوار بين " الأنا " و " الآخر " إلقاء السّلام عليهم ، والاستغفار للمشارك منهم : « فعن الحسن ، قيل لرسول الله : إنّ فلاناً يستغفر لأبائه المشركين ، فقال : ونحن نستغفر لهم . وعن عليّ :

رأيت رجلاً يستغفر لأبويه ، وهما مشركان ، فقلت له فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه . وقال الرّمخسري في الكشف إنَّ العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ، ألا ترى إلى قوله عليه السّلام لعمّه : لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عن ذلك»⁽²⁹⁾ . « وسلم الشّعي - الإمام الجليل - على نصرانيّ فقال : السّلام عليكم ورحمة الله ، فقيل له في ذلك ، فقال : أوليس في رحمة الله ؟ لولا ذلك لهلك »⁽³⁰⁾ . وإشاعة مثل هذه المعاني ممّا يفتح باب الحوار ويوسّع أفقه .

ومن مظاهر التّقارب والحوار تحريم سبّ معبودات الكفّار ، فسبّ معبودات الكفّار هو في الأصل قُرْبَة ، لكن لما كان وسيلة إلى أن يسبّ الكفّار المعبود الحقّ حرّمه الله تعالى فقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : 108] . فسبّ معبودات النّصارى حرامٌ لأنّه يؤدّي إلى سبّ الله تعالى . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ﴾ [البقرة : 104] ، كان الأنصار يقولون للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم راعنا أي انتظرنا ، وكان اليهود يقولون هذه الكلمة تشبّهً بالأنصار ويقصدون أنّه فاعل من الرّعونة وهي الحمق ، فحرّم الله هذه الكلمة لأنها تؤدّي إلى شتم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . فيكون من موجبات الحوار مع الآخر الأدب والبحث عن نقاط الاتّفاق بدل البحث عن نقاط الخلاف .

وعند فتح باب الحوار مع الآخر (المسيحي تحديداً) يلجّ بعض المسلمين على عدم الحوار ، ويصرّ على ذلك بزعم أنّ النّصراني لا تشمله رحمة الله ! وإذا عرفنا أنّ هذا النّصراني هو من بني آدم وهو من النّاس أدركنا أنّه ممّن تسعهم رحمة الله ، وما كان لأحد أن يحجرها ، وفي الآيتين الكريمتين ما يؤكّد ذلك ، يقول تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : 35] . ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : 13] . وإذا عرفنا أنّ رحمة الله واسعة كان علينا أن لا نحجّر واسعها لتشمل جميع خلق الله ، فباب رحمة الله مفتوح على مصراعيه لكلّ عباده ، وهو ما يجيب على سؤال من يسأل من المسلمين ، ومن أخلّ بشيء من مقتضياتها واتباع هواه فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه وإن شاء عذّبه وهو سبحانه غفور رحيم - لا يسأل عمّا يفعل ! غير أنّ منطوق الآيتين السابقتين يبيّن أنّ أساس هذه الرّحمة هو التّقوى ، فكلّ من يتقي الله ويصالح فلا خوف عليه ، والأساس الأوّل هو التّقوى ، فكيف يكون ذلك والتّقوى خاصّة بالمسلمين والمتّقون هم المسلمون؟!⁽³¹⁾ . وهذا ما قد يكون محلّ استغراب إذ كيف يكون تعاون " الأنا المسلم " مع " الآخر الكافر " حول التّقوى ؟ ولعلّ الإجابة هي ما نجده من وحي الآية الكريم التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : 02] . لتحملنا على التّساؤل : هل التعاون هنا مع القوم الذين [صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] ؟ أم هو بين المسلمين فقط ؟ . وإذا كان المقصود هم من

[صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] فكيف يكون التَّعَاوُنُ معهم على (التَّقْوَى) ؟! وقد تَتَضَحَّح سبيل التَّعَاوُنِ إِذَا مَا عَرَفْنَا أَنَّ " التَّقْوَى " لَا تَخْصُ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ ، فَأَهْلُ الْكِتَابِ قَدْ أَمَرُوا قَبْلَنَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَوَصَّاهُمْ اللَّهُ بِهَا كَمَا وَصَّاهُ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: 131] .

وليس دعوة الأنبياء العامة هي أن تؤمن به رسولاً ، فهي مرحلة ثانية ، المرحلة الأولى أن تحقق آية التقوى ، أن تتوقف عن الظلم والأذى وهو ما توضحه الآيات الآتية :

- نوح: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 105 – 106] .
- هود: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 123 - 124] .
- صالح: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 141 – 142] .
- لوط: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 160 – 161] .
- شعيب: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 176 – 177] .
- إلياس: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الصفوات: 123 – 124] .
- عيسى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [آل عمران: 50] . وموسى: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: 10 – 11] .

بل نجد أَنَّ التَّقْوَى هي نداء عام للبشرية ، للنَّاسِ جميعاً: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ [النساء: 01] .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13] . ويمكن أن نلاحظ الطَّلَب من كلِّ إنسان أن يتَّقِيَ اللَّهَ . فالإيمان بالله والنبؤات والكتب وتفصيل الآيات .. إلخ . كلُّ هذه هي من وسائل التَّقْوَى ، والتَّقْوَى هي الغاية التي تجمع هذا كله (32) . ومع هذا الفهم الجديد لمعاني التَّقْوَى يتشكَّل رابط قوي بين الأنا والآخر يوجد بينهم ، ويجعلهم لا يقفون عند حدود الحوار بل يتجاوزونه إلى التَّعَاوُنِ في شتَّى مناحي الحياة ، رغم الاختلاف العقدي ، والاختلاف في النظرة إلى الإنسان والكون والحياة ، وأبرز مظاهر الحوار مع الآخر والتَّعَاوُنِ معه الحوار العلمي .

ولا خلاف في أَنَّ التَّعَاوُنَ العلمي والتَّبادُلَ الثقافي للمعاني الإنسانية لا يُذِيب " الأنا " في " الآخر " ولكنَّه يسمح بفهمه وتيسير سبل التَّواصل معه حيث « يستطيع المسلم النَّاضِج الرَّاسِخ في إيمانه وعلمه : أن يقرأ ما يشاء من الفلسفات ، ويطلع ما شاء من الثقافات ، ومنها الثقافة الغربيَّة الحديثة ، ثمَّ يقتبس منها ما يُلائم عقيدته ومفاهيمه عن الوجود وعن المعرفة وعن القيم ، وما يتَّفَق مع نظرته إلى الألوهية وإلى الكون والإنسان والحياة والتَّاريخ . يستطيع المسلم الحقُّ أن يقتبس ما يراه حقاً من المنهج الشَّكِّي لديكارت ، ومن مثاليَّة هيغل ، ومن ماديَّة ماركس ، ومن وضعيَّة كونت ، ومن نشويَّة دارون ، ومن تحليل فرويد ، ومن مجتمعيَّة دوركايم ، ومن واجبيَّة كانت ، ومن تطوريَّة سبنسر ، ومن حدسيَّة برغسون ، ومن براغماتيَّة جيمس ، ومن عقلانيَّة راسل ، ومن تشاؤميَّة شبلنجر ، ومن تفاؤليَّة تويني ، ومن وجوديَّة سارتر ... » (33) .

وهذا مجال واسع ورحب للحوار والتعاون بين الأنا والآخر قَطِنَ له علماء الإسلام منذ القديم ، وسعوا إليه لتحقيق الاكتفاء العلمي ، فقد بين " أبو حامد الغزالي " من كتاب العلم في الإحياء - القدر المحمود من العلوم الطبيّة المطلوبة : « أمّا القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء ، فهو العلم بالله تعالى وبصفاته . وأفعاله وسُننه في خلقه ، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ! إنّ هذا العلم مطلوب لذاته " !! ثمّ فضّل " أبو حامد الغزالي " أهل هذا العلم على جميع العلماء من متكلمين وفُقهاء ! وأيده ففي ذلك " العزّ بن عبد السلام " ، إذ استفتي فيه ، فأفتى بصحّته ! «⁽³⁴⁾ . وإذا علمنا أنّ هذه العلوم هي اليوم بيد " الآخر " وهم الأعلام بها ممّا كان لزاماً علينا - بسبب ذلك - أن نوسّع التعاون بيننا وبينهم لا أن نُضيقه ونُغلق بابَه بزعم الحفاظ على "الأنا" الذي لا يزيده هذا الانغلاق إلّا تفتتاً وبعداً عن أصل ما وُجد له بين الشُعب والقبائل .

ومن أشكال التّقارب والحوار العملي مع الآخر ، التعاون الإنساني والتّفّع لكلّ البشريّة ، وليس للموافق في العقيدة أو الوطن ... وهذا ما يُمكن فهمه من قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : 08] . ولاحظ كيف أنّها وردت في سورة [الإنسان] . فالأسير مخالف قطعاً للدّيانة ، وهو فوق ذلك محاربّ ، ومعتدٍ ... ومع هذا وجبت معاملته (معاملة إنسانيّة) بإطعام الأسير بمحبّة لله ... وبالنسبة للتّعاملات الفقهيّة بالنسبة لـ " الآخر " الذي يعيش في المجتمع الإسلامي ، يمكن أن نتساءل: « كيف يقبل هؤلاء " الحلّ الإسلامي " ، وهو يستمدّ أحكامه من دين لا يؤمنون به ، ولا يرضونه حكماً في شؤون حياتهم ؟ وكيف يُرغم هؤلاء على أمرٍ يُخالف دينهم ؟ وهذا يُنافي مبدأ " الحرّيّة " الذي قرّره إعلان حقوق الإنسان ، كما يُنافي مبدأ " عدم الإكراه " الذي قرّره الإسلام نفسه منذ أربعة عشر قرناً⁽³⁵⁾ حين قال : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ . لهذا يكون الأولى أن يُحكم المواطنون جميعاً حكماً قومياً علمانياً ، يستوي فيه أهل الأديان جميعاً ، ولا مجال فيه لطائفية ولا لعصبية دينيّة ، كما هو مفهوم الدّولة الحديثة ، فالدين لله والوطن للجميع ! «⁽³⁶⁾ . فيكون في المواطنة ما يجمع الأنا والآخر ويضمن لكلّ منهما حقّه في العيش الكريم .

وهذا ما يُمكن أن نجده في فرض الجزية على غير المسلم « ومن شدّة حساسيّة الإسلام أنّه لم يفرض الزّكاة ولا الجهاد على غير المسلمين ، لما لهما من صبغة دينيّة ، باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى ، مع أنّ الزّكاة ضريبة ماليّة ، والجهاد خدمة عسكريّة ، وكلّهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرّؤوس ، أعفى منها النّساء ، والأطفال ، والفقراء والعاجزين ، وهي ما يُسمّى " الجزية " . وإذا كان بعض إخواننا من المسيحيّين يأنفون من إطلاق هذا الاسم ، فليُسمّوه ما يشاءون . فإنّ نصارى بني تغلب من العرب طلبوا من عمر أن يدفعوا مثل المسلمين صدقة مضاعفة ولا يدفعوا هذه الجزية ، وقيل منهم عمر ، وعقد معهم صلحاً على ذلك ، وقال في ذلك : هؤلاء حمقى ، رَضُوا بالمعنى ، وأبوا الاسم !⁽³⁷⁾ . وكذلك إذا كان مُصطلح (أهل الذمّة) يضايقهم فلا حرج في تركه ويكتفى بالمواطنة في دار الإسلام «⁽³⁸⁾ .

ومما يُعزّز من إمكانية التّعاون بين "الأنا" و"الآخر" والحوار بينهما وجود نماذج كثيرة في تراثنا الإسلامي تُجسّد ذلك ، وما علينا في الوقت الحاضر إلاّ تعزيز هذه النّماذج بين النّاشئة وإشاعتها بين النّاس ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر رثاء " الشّريف الرضي " لـ " أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصّائب " (من الصّابنة) :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ ** أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى ** مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعِ الْإِرْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي التَّرَى ** أَنَّ الثَّرَى يَغْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ
بُعْدًا لِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ فَإِنَّهُ ** أَقْدَى الْعُيُونِ وَقَتَّ فِي الْأَعْضَادِ
لَا يَنْفُذُ الدَّمْعُ الَّذِي يُبْكِي بِهِ ** إِنَّ الْقُلُوبَ لَهُ مِنَ الْأُنْدَادِ (39) .
ولمّا عوتب فيه ، أثرني رجلاً صابئياً ، رجلاً غير مسلم ، قال : إنمّا رثيت فضله .

وقد ذكر " الجاحظ " نماذج وشذرات ممّا مدح به بعض شعراء المسلمين النّصارى واليهود والمجوس . وقال معلّقاً : " وبعض ذلك المدح على وجه الرّغبة ، وبعضه على وجه الإحماد " . يُقال اختبره فحمد حاله ، أي على وجه الاستحقاق ، وأتى بأبيات مدح فيها مسلمٌ يهوداً :
لَقَدْ وَجَدْنَا فِي الْيَهُودِ رِجَالَ صِدْقٍ ** عَلَى مَا كَانَ مِنْ دِينٍ يُرْبُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبْنِي عَرِيضِي ** لَمَثَلُ الْمَاءِ خَالِطَةُ الْحَلِيبِ
خَلِيلَانِ اكْتَسَبْتُهُمَا وَإِنِّي ** لِحَلَّةٍ مَاجِدٍ أَبَدًا كَسُوبُ
فهو لا يخفي مخالفتها له في الدّين والمعتقد ، كما لا يخفي محبّته لهما من جميل ما عرف من صُحبتهما . وفي شعر أحد المسلمين في رجلٍ مجوسي ساق إليه صداقاً ، ما يعكس روح التّعاون التي كانت رغم اختلاف الآراء والمعتقدات ، بل لم يمنع ذلك الشّاعر من الإفصاح عن كلا الأمرين ، من عدم موافقته على معتقد صاحبه ، ومن ثنائه عليه من جميل ما صنعه معه ، فيقول في وصف هذا المجوسي :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطَيْبِ الْمَشَاشِ ** وَأَنْتَ بَخْرٌ جَوَادٌ خِصَمٌ
وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ ** إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ
قَرِينٌ لَهُمَا مَنَ فِي قَعْرِهَا ** وَفِرْعَوْنُ وَالْمُكْتَنَى بِالْحَكَمِ
كَفَانِي الْمَجُوسِيُّ مَهْرُ الرِّبَابِ ** فِدَاً لِلْمَجُوسِيِّ خَالِي وَعَمَ

فقال له " المجوسي " وقد أزعجه الوصف : أ جعلتني من أهل الجحيم ؟ قال له : أما كفاك أنّي جعلتك مع من سمّيتهم ؟ أنت مع هامان وفرعون ومع الحكم ، قال المجوسي : ومن عنيت بالحكم ؟ قال : أبا جهل . فكان هذا طبعهم في الفكاهة والدّعابة والتّعاون مع اختلافهم الشّديد في الفكر والمعتقد .

ونختم بحثنا هذا بأرقى وأرق أشكال الحوار بين "الأنا" و"الآخر" بما شاع عند بعض المسيحيين من محبة إنسانية خالصة لشخص النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لما عرفه من طيب سيرته العطرة ، وهو ما

يمكن أن يكون جسراً لانتقال هذا " الآخر الملبّي " إلى ساحة " الأنا المسلم " وقد عنوانه بما يوحي بمضمونه ، وهو " محبة الحبيب بلسان عبّاد الصليب " . ويقول " رشيد أيوب " في السّماحة الدينيّة وعدم التّعصّب :
أصلي لموسى وأعشق عيسى ** وأتلو السّلام على أحمد

ولم يمنع هذا التّسامح الديني المسيحي " مارون عبّود " من أن يُسمّي ابنه المسيحي " محمّد " ! وينظم في حبّ محمّد صلّى الله عليه وآله القصائد ، كما نظمها في آل بيته الطّاهرين . وهذا الصّنيع المحمود لم يصدر من مسيحيّ واحد بل صدر مثله من طائفة عريضة من المسيحيين ممن كتبوا في مدح خير البريّة ووصف أخلاقه ، وشماله ، ومدح آل البيت عليهم السّلام ، ومن هؤلاء : إلياس قنصل ، جاك شماس ، حليم دموس ، رشيد سليم الخوري ، شبلي شميل ، وصفي قرنfli ، نصر سمعان ، حسنى رشيد ، جرجيس غراب ، ميخائيل خير الله ويردي ، خليل مطران ، شبلي ملاط ... وغيرهم . ممّا يضيق المقام عن إيراد ما سطّروه في مدح خير البريّة صلّى الله عليه وآله وسلّم . وفي هذا يكفي أن نقرأ قول المسيحي :

إني مسيحيّ أحبّ محمّداً ** وأراه في فلّك الغلا عنوانا

وهذا مسيحيّ آخر هو الشّاعر اللبناني (شبلي ملاط) يقول :

منّ للزمان بمثل فضل محمّد ** وعدّالة كعدّالة الخطّاب

رفع الرّسول عماد أمة يغربّ ** وأعرّها بالّ والأصحاب

غشت الفتوح وصفقت زياتها ** في الشرق فوق أباطح وهضاب

وقول المسيحي الآخر : أحببت دينك لما قلت : أكرمكم ** أتفأكم وتركت الحكم للحكم

وقلت : إني هدى للعالمين ولم ** تلجأ إلى العنف بل أقنعت بالكلم .

فوجب علينا نحن أيضاً في حوارنا مع الآخر أن لا نلجأ للعنف بل نُقنع بالكلم الطيّب ، ولنعلم من هذه الأبيات الصّادقة إمكانيّة التّحاور والتّقارب بين الأنا المسلم غير المتعصّب والآخر المسيحي غير المتعصّب في أخصّ خصوصياتنا الإسلاميّة وهي محبة الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم . وصلّى الله على محمّد وصحابته الأخيار وآله الطّاهرين الطّيبين الأبرار وسلّم تسليمًا .

5. خاتمة :

حاولنا من خلال هذا البحث أن نبين كيف يمكن للنّاس جميعاً أن تتفق رغم الاختلاف ، وأنّ حدود "الأنا" و "الآخر" لا يمكن حسمها بشكلٍ قاطع إلّا بحصرها ضمن معايير ضيقة كميّار الاختلاف الديني أو المذهبي ، وأنّ هذا الاختلاف بينهما لا يقتضي المعاداة أو التّعصّب ، وبينا كيف يتحد "الأنا" و "الآخر" عبر التّعدّد ، ويتعاونان عبر الاختلاف ، ويتكاملان عبر التّناقض ، ويتفاضلان عبر التّنافس ... ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .

[هود : 118 - 119] . والحمد لله ربّ العالمين .

6. المصادر والمراجع :

- 01 - أبو ريثه ، (محمّد -) :
دين الله واحد على ألسنة جميع الرُّسل - محمد والمسيح أخوان ،
دار الكرنك للنَّشر والطَّبع والتَّوزيع ، القاهرة ، مصر ، [دت .]
- 02 - أبو سليمان ، (عبد الوهَّاب -) :
الفكر الأصولي ، دراسة تحليليّة ، ط 01 ، دار الشُّروق ، جدّة ،
السَّعودية ، [1402 هـ] .
- 03 - البنا ، (جمال -) :
استراتيجية الدَّعوة الإسلاميّة في القرن 21 (كما تقدّمها دعوة
الإحياء الإسلامي) ، دار الفكر الإسلامي الحديث ، القاهرة ،
مصر ، [2000 م] .
- 04 - حاج حمد ، (محمّد أبو القاسم) :
إبستمولوجيّة المعرفة الكونيّة ، الطَّبعة الأولى ، در الهادي ،
بيروت ، لبنان ، [2004 م] .
- 05 - الدُّسوقي ، (محمّد بن عرفة -) :
حاشية الدُّسوقي على الشَّرح الكبير ، عيسى البابي الحلبي وشركاه
، مصر [دت .]
- 06 - السَّباعي ، (مصطفى -) :
من روائع حضارتنا ، دار الرِّواق للنَّشر والتَّوزيع ، المكتب الإسلامي
، الرِّياض ، المملكة العربيّة السَّعودية ، [1999 م] .
- 07 - السُّيوطي ، (جلال الدِّين -) :
جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ، حققه وعلّق عليه : عبد
القيوم بن محمد شفيع البستوي ، دار الاعتصام ، جار النصر
للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، مصر ، [دت .]
- 08 - الشَّافعي ، (محمّد بن إدريس -) :
الرِّسالة ، تحقيق وشرح : احمد محمّد شاعر ، ط 01 ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، [1940 م] .
- 09 - الصَّنَّعاني ، (محمّد بن إسماعيل -) :
إرشاد النّقّاد إلى تيسير الاجتهاد ، قدّم له : صلاح الدِّين مقبول
أحمد ، الطَّبعة الأولى ، الدَّار السَّلفيّة ، الكويت ، [1985 م] .
- 10 - عرفة ، (شريف -) :
لماذا من حولك أغبياء ؟ ، الطَّبعة الأولى ، الدَّار المصريّة اللبنانيّة
، القاهرة ، مصر ، [2013 م] .
- 11 - العودة ، (سلمان بن فهد -) :
كيف نختلف ؟ ، الطَّبعة الأولى ، مؤسّسة الإسلام اليوم للنَّشر ،
الرِّياض ، السَّعودية ، [1433 م] .
- 12 - الغزالي ، (محمّد -) :
سرّ تأخّر العرب والمسلمين ، الطَّبعة السَّابعة ، دار نهضة مصر
للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، القاهرة ، مصر ، [2005 م] .
- 13 - القرضاوي ، (يوسف -) :
الأقليات الدينية ... والحل الإسلامي (سلسلة رسائل ترشيد
الصَّحوة (07)) ، ط 01 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، [1996
م] .
- 14 - القرضاوي ، (يوسف -) :
ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ، دار الشُّروق ، الطبعة الأولى ،
القاهرة ، مصر ، [2000 م] .
- 15 - القصبي ، (غازي بن عبد الرحمن -) :
باي باي لندن ... ومقالات أخرى ، الطَّبعة الأولى ، مكتبة العبيكان
، السَّعودية ، [2007 م] .

- 16 - المحمدي، (علي محمد يوسف-) : أحكام العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم ، جامعة قطر ، قطر ، [1992 م] .
- 17 - نور الدين ، (حسن جعفر) : الشريف الرضي حياته وشعره ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، [د.ت] .
- 18 - وهبه ، (مراد -) ، أبو سنه ، (منى -) : الإرهاب وتدریس الفلسفة ، سلسلة ابن رشد اليوم (العدد الثالث) ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، [2000 م] .

7-الهوامش :

- ¹ - منهم : القضاوي ، (يوسف -) : [2000 م] ، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مصر .
- ² - نفس المرجع ، ص : 29 .
- ³ - الشافعي ، (محمد بن إدريس -) : [1940 م] ، الرسالة ، تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر ، ط 01 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ص : 560 وما بعدها .
- ⁴ - أخرجه مسلم (934) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، ص : 415 .
- ⁵ - انظر : عرفة ، (شريف -) : [2013 م] ، لماذا من حولك أغبياء ؟ ، ط 01 ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ص : 37 - 38 .
- ⁶ - حاج حمد ، (محمد أبو القاسم -) : [2004 م] ، إستراتيجية المعرفة الكويتية ، الطبعة الأولى ، در الهادي ، بيروت ، لبنان ، ص : 35 .
- ⁷ - العودة ، (سلمان بن فهد -) : [1433 هـ] ، كيف نختلف ؟ ، ط 01 ، مؤسسة الإسلام اليوم للنشر ، الرياض ، السعودية ، ص : 29 .
- ⁸ - نسب القول إلى أبي الحسن الكرخي الحنفي ، يُنظر : الصنعاني ، (محمد بن إسماعيل -) : [1985 م] ، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ، قدم له : صلاح الدين مقبول أحمد ، الطبعة الأولى ، الدار الشلفية ، الكويت ، الكويت ، ص : 17 . وينظر : أصول الكرخي ، ملحق مع " تأسيس النظر " للدبوسي ، ص : 169 - 171 .
- ⁹ - يُنظر : الصنعاني ، المرجع السابق ، ص : 17 . و الإيهاج في شرح المنهاج ، للشبكي ، 3 / 206 ، وتيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، للبسام ، ص : 275 ، وينظر : البرهان في أصول الفقه ، لإمام الحرمين الجويني ، ص : 2 / 177 . ص : 30 .
- ¹⁰ - وهبه ، (مراد -) ، أبو سنه ، (منى -) : [2000 م] ، الإرهاب وتدریس الفلسفة ، سلسلة ابن رشد اليوم (العدد الثالث) ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، صفحة الغلاف .
- ¹¹ - القضاوي ، (يوسف -) : [2000 م] ، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ، مرجع سابق ، ص : 28 - 29 .
- ¹² - أبو حجاج ، (يحيى -) ، عبد الرحيم ، (محمد -) : مؤتمر الشافعي ، ملامح التفكير العلمي عند الشافعي ، ص : 1482 . ولم نعثر عي البيتين في ديوان الشافعي الذي أعده محمد إبراهيم سليم ، ولا الذي أعده محمد عبد المنعم خفاجي .
- ¹³ - القصبي ، (غازي بن عبد الرحمن -) : [2007 م] ، باي باي لندن ... ومقالات أخرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، ص : 26 - 27 .
- ¹⁴ - العودة ، (سلمان بن فهد -) : كيف نختلف ؟ ، مرجع سابق ، ص : 29 .
- ¹⁵ - وقد ظلت قضية الاختلاف بين المذاهب الفقهية موضع اهتمام لدى العلماء المخلصين الذين كانوا يشعرون بمرارة تفرق الأمة وتشنبتها ، فقد بذلوا جهودهم الطيبة في دراسة تلك القضية وبحسبها للقضاء على التفرق البغيض الذي نشأ بسبب سوء الفهم للقضية ، فبينوا أسباب الخلاف ودعوا إلى الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المذهبي البغيض الذي لا مبرر له ، كما دعوا إلى احترام الأئمة والاستفادة من آرائهم مثل ما فعل ابن عبد البر ، والخطيب البغدادي ، والعز بن عبد السلام ، وابن تيمية ، وابن القيم ، والشاطبي - رحمهم الله - في مؤلفاتهم القيمة .
- كما نجد هناك مؤلفات جليلة أفردت لهذا الغرض التبيل ، مثل :
- الإيضاف فيما بين العلماء من الخلاف : لابن عبد البر القرطبي (م 463 هـ) .
- والإيضاف بذكر أسباب الخلاف : لابن السيد البطليوسي (م 581 هـ) .
- ورفع الملام عن الأئمة الأعلام : لابن تيمية (م 728 هـ) .

- والإيقاف على أسباب الخلاف : لولي الله التّهلوي (م 1176 هـ) .
- 16 - ومالك المقصود هو حاجبٌ مهمّ . وقد أورد القصّة : الأسنوي في الطبقات (1 / 536) ، وذكرها " رشيد الخيون " في كتاب الأديان والمذاهب بالعراق .
- 17 - وضعنا هذا الجدول من بعض ما جمعناه من كتاب : الشيوطي ، (جلال الدين عبد الرحمن -) : جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ، حققه وعآق عليه : عبد القيوم بن محمد شفيع البستوي ، دار الاعتصام ، جار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- 18 - الغزالي ، (محمد -) : [2005 م] ، سرّ تأخّر العرب والمسلمين ، الطبعة السابعة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص : 10 .
- 19 - ينظر : أبو سليمان ، (عبد الوهاب -) : [1402 هـ] ، الفكر الأصولي ، دراسة تحليليّة ، ط 01 ، دار الشروق ، جدّة ، السّعوديّة ، ص : 122 - 124 .
- 20 - يُنظر : مراد وهبه : الإرهاب وتدرّيس الفلسفة ، مرجع سابق ، ص : 54 - 55 .
- 21 - البيان والتحصيل ، 02 / 349 .
- 22 - الشّوقي ، (محمد بن عرفة -) : [؟] ، حاشية الشّوقي على الشّرح الكبير ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، 02 / 267 .
- 23 - يُنظر : السّيباعي ، (مصطفى -) : [1999 م] ، من روائع حضارتنا ، دار الزّواقي للنشر والتّوزيع ، المكتب الإسلامي ، الرياض ، المملكة العربيّة السّعوديّة ، ص : 142 - 143 .
- 24 - البنا ، (جال -) : [2000 م] ، استراتيجيّة الدّعوة الإسلاميّة في القرن 21 (كما تقدّمها دعوة الإحياء الإسلامي) ، دار الفكر الإسلامي الحديث ، القاهرة ، مصر ، ص : 61 - 62 .
- 25 - يُنظر : أبو ريّة ، (محمد -) : دين الله واحد على السّنة جميع الرّوئل - محمد والمسيح أخوان ، دار الكرنك للنّشر والطّبع والتّوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص : 14 .
- 26 - رواه مسلم ، (2543) ، ص : 1184 .
- 27 - يُنظر : المحمدي ، (علي محمد يوسف -) : [1992 م] ، أحكام العلاقات الاجتماعيّة بين المسلمين وغيرهم ، جامعة قطر ، قطر ، ص : 326 .
- ويُنظر : ابن عابدين 402/06 و الأحكام السّلطانيّة لأبي يعلى 304 وفي الحديث : من آذى ذمّيّاً فأنا خصمه يوم القيامة ، سنن الدّراقلنيّ 350/02 والفتح الكبير 144/03 وقال رواه الخطيب في تاريخه ، وشرح السّنن الكبير 250/03 والزّتاج 144/01 ، وانظر حول هذا المعنى السّنن ...
- 28 - الغزالي ، (محمد -) : [2005 م] ، سرّ تأخّر العرب والمسلمين ، مرجع سابق ، ص : 11 - 12 .
- 29 - أبو ريّة ، محمد : دين الله واحد على السّنة جميع الرّوئل - محمد والمسيح أخوان ، مرجع سابق ، ص : 174 .
- 30 - نفس المرجع ، ص : 77 .
- 31 - يُنظر : أبو ريّة ، (محمد -) : دين الله واحد على السّنة جميع الرّوئل - محمد والمسيح أخوان ، مرجع سابق ، ص : 15 وما بعدها .
- 32 - يُنظر : المالكي ، (حسن بن فرحان -) : أركان الإسلام من القرآن ، الجزء الثّالث ، (http://almaliky.org/print.php?id=941) .
- 33 - القرّضاي : ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ، مرجع سابق ، ص : 44 .
- 34 - الغزالي ، (محمد -) : [2005 م] ، سرّ تأخّر العرب والمسلمين ، الطبعة السابعة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص : 12 - 11 .
- 35 - وها نحن اليوم في القرن الخامس الهجري ، وما يزال هذا القانون صالحاً في عدم الإكراه على الدّين ، وسيبقى إلى يوم القيامة .
- 36 - القرّضاي ، (يوسف -) : [1996 م] ، الأقليات الدينيّة ... والحل الإسلامي (سلسلة رسائل ترشيد الصّحوة (07)) ، ط 01 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ص : 09 .
- 37 - انظر : المغني لابن قدامة : 09 / 335 - 336 طبع مطبعة العاصمة ، شارع الفلكي ، القاهرة . نقلاً عن : القرّضاي : الأقليات الدينيّة ... والحل الإسلامي (سلسلة رسائل ترشيد الصّحوة (07)) ، مرجع سابق ، ص : 14 .
- 38 - القرّضاي : نفس المرجع ، ص : 14 .
- 39 - نور الدّين ، (حسن جعفر -) : [؟] ، الشّريف الرّضي حياته وشعره ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ص : 74 - 75 .